

الرواية النسوية العربية بين التحرر والتهور

The Arab feminist novel between liberation and recklessness

أ.د آية الله عاشوري *

تاريخ النشر: 2024/12/20	تاريخ القبول: 2024/01/19	تاريخ الإرسال: 2023/06/30
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يمثل الأدب النسوي العربي نضال النساء للتعبير عن أنفسهن والتغلب على العقبات التي تعترض طريقهن، إذ استخدمت النساء، وخاصة الروائيات، الكتابة الإبداعية كوسيلة لإيصال أصواتهن المكبوتة، سواء بسبب عوامل داخلية أو خارجية. ومع ذلك، فقد خلق هذا فجوة بينهن وبين الذكر/الآخر، حيث يحاولون التغلب على التحديات التي يواجهونها.

تتقاسم الروايات التي كتبها نساء عربيات مواضيع وأهداف مشتركة، غالبًا ما تدور حول اضطهاد المرأة وتوهم هيمنة الذكور، بسبب خوف واضح من الأنثى نفسها، والحذر من الذكر الآخر. ومع ذلك، فإن الهدف من هذه الروايات ليس الانتصار على الذكر/الآخر أو فرض الهيمنة. مثل هذا التفكير المتطرف والثقافة العدوانية ليست نتائج مرغوبة. من المهم أن ندرك أن التكامل بين الجنسين هو الأساس، وأي شيء أقل من ذلك لا ينبغي اعتباره القاعدة.

بناءً على ما سبق، يمكننا إبراز خصائص الأدب النسوي العربي في معالجته لجدلانية الأنوثة والذكورة.

الكلمات المفتاحية: الكتابة، الرواية النسوية، الذات والآخر، الأنثى والذكر، الوهم.

*جامعة عبد الرحمن ميرة-بجاية ayetallah.achouri@univ-bejaia.dz

Abstract:

Arab feminist literature represents the struggle of women to express themselves and overcome the obstacles that stand in their way. Women, particularly novelists, have used creative writing as a means to convey their suppressed voices, whether due to internal or external factors. However, this has created a gap between them and the male other, as they try to navigate through the challenges they face.

The novels written by Arab women share common themes and goals. They often revolve around the oppression of women and the illusion of male dominance. There is a clear apprehension towards the female self and caution towards the male other. However, the aim of these novels is not to triumph over the male other or establish dominance. Such extreme thinking and aggressive culture are not desired outcomes. It is important to recognize that integration between genders is the basis, and anything less than that should not be considered the norm.

Based on the above, we can highlight the characteristics of Arab feminist literature in its dialectic treatment of femininity and masculinity.

Key words: Writing, Feminist novel, Self and Other, Female and Male, Illusion.

*** **

المؤلف المرسل: آية الله عاشوري ayetallah.achouri@univ-bejaia.dz

1. مقدمة:

لقد حملت المرأة العربية القلم مقتحمة عالم الإبداع عامة والرواية منه خاصة بدافع نصرة قضاياها على حساب قضايا أخرى تقابلها، إذ وفقت في بعضها لموافقتها الفطرة السليمة والطبيعة القويمة، وأخفقت في بعضها الآخر إذ وقعت في تناقضات بفعل اندفاع فكري غير مؤسس له لا في الطبيعة ولا في الطبع، وإنما وقوع في مزالق معرفية تشربتها من مرجعيات غريبة وفلسفات دخيلة لا تمت بأي صلة إلى مرجعياتها الأصيلة.

اتخذت الكتابة الروائية النسائية أشكالاً متفاوتة في رسم الأنثى/الأنثى وعلاقتها مع الآخر/الذكر، لنلمس تشظياً للذات بين رسم صور ائتلافية بين الجنسين متسمة بالاعتدال في طروحاتها، وأخرى قد وسمت بالعدائية مدججة بحمولات اختلافية في محاولة للانتصار للأنثى/الأنثى وكشف هيمنة الآخر/الرجل، وثالثة انتقامية إقصائية للآخر/الذكر تعتمد إلى إذلاله وإرغامه على تبعيته للأنثى، كل ذلك بناء على الواقع المعيش والتجارب الحياتية، والأبعاد الفكرية والمنطلقات الفلسفية التي توجه المرأة الروائية في طرح القضايا وتفكيك الممارسات.

2. الرواية النسوية:

تعددت المفاهيم والتعريفات حول الرواية النسوية باختلاف الرؤى وتشعب النظريات، يقول عصام واصل: «ويقصد بالرواية النسوية كل سرد روائي يتخذ من قضايا المرأة وعلاقتها مع الآخر موضوعاً له بغض النظر عن كاتبه رجلاً كان أو امرأة.

فكل رواية تسعى إلى مقاومة الفعل الذكوري وتفكيك الأنساق الثقافية التي تعتمد إلى النمذجة وخلق مركز مهيمن مقابل هامش مقصى ومغيب هي رواية نسوية بامتياز.»⁽¹⁾

تختلف الرواية النسوية عن الذكورية بالنسبة لمراميها وأهدافها، إذ تنطلق من ذات مستعبدة من قبل الآخر (الرجل) والمجتمع الذي يضعها كائناً ناقصاً تابعاً للرجل، عكس الرواية الذكورية التي تنطلق من ذات مسيطرة، لهذا تسعى إلى النهوض والانسلاخ من هذه التبعية من أجل بناء رؤية جديدة للعالم تكون فيه المرأة مساوية للرجل في سياق الإنسانية والحرية الذاتية، فالرواية الذكورية مهما حاولت إيصال أفكار الذات الأنثوية لن تستطيع إيفاء حقها، لذلك وجب على المرأة من خلال الكتابة إيصال ما يختلج ذاتها، فهي الوحيدة التي تستطيع التعبير عن أمور لا يستطيع الرجل أن ينوب في التعبير عنها، يقول حسين مناصرة: «اختلفت الرواية النسوية عن الرواية الذكورية، لأنها تنطلق من ذات أنثوية مستلبة، في حين تنطلق الرواية الذكورية من ذات ذكورية مهيمنة. لهذا تمثل الرواية النسوية السعي الحثيث إلى هدم القيم الذكورية المهيمنة على اللغة والزمكانية والشخصية، من أجل بناء رؤية جديدة للعالم تكون فيه المرأة

مساوية للرجل في سياق الإنسانية والحرية الذاتية. في حين قد تقدم الرواية الذكورية رؤية إيجابية لحركة المرأة في الحياة، لكن طبيعة الكتابة هنا لا تعطي هذه الرؤية حقها، بوصفها صوتاً نسوياً داخل بنية السرد، وهو ما تختلف فيه الكتابة النسوية عن الكتابة الذكورية، حيث تسعى الكتابة النسوية إلى صياغة العالم المحلوم ورسم أبعاده سواء أكان متخيلاً للواقع أو بديلاً عنه من خلال منظور المرأة وصوتها وحركتها، فتظهر الكتابة مغايرة وجديدة.⁽²⁾

ظهرت صور متنوعة للمرأة في الأعمال الروائية النسوية، وذلك من خلال التطرق لعدد المواضيع المتباينة في الطرح والمتوافقة في القصد، بمعنى محاولة المرأة المبدعة الانتصار لبنات جنسها، والمرافعة عنهن، بالإضافة إلى إثارة موضوع العلاقة مع الآخر/الذكر وما يشوب العلاقة بينهما من ائتلاف واختلاف، يقول عبد العاطي كيوان: «تنوعت صورة المرأة في الأعمال الروائية المعاصرة تنوعاً ملحوظاً، تراوح بين العلم والتحرر، والنهضة وتقدم الأمة، وكذلك قضايا الفقر والتخلف والطبقية، وكان الارتباط بالآخر قاسماً مشتركاً نلمحه بين ذلك جميعه، فكان سافراً أخذاً شكلاً خارجاً عن المؤلف تارة، وكان في بعضها الآخر متآلفاً مع الجموع ملتحمًا بها تارة أخرى، ومن ثم لم يكن الجنس وحده هو الغالب أو المعيار، وإن تبدى في أعمال كثيرة.⁽³⁾

اتخذت المرأة من الخطاب السردى سلاحاً أشهرته في وجه التقاليد المجتمعية عامة وهيمنة الرجل خاصة، في محاولة منها تحقيق مراميها وتجسيد أحلامها، وعليه فقد: «اتخذ الخطاب السردى لدى المرأة العربية، بتمظهراته المختلفة، الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والتاريخية، والإيديولوجية، ومن المواجهة سبيلاً لتحقيق مبتغائها في تغيير الأفكار السائدة تجاه ذاتها، والعمل على تغيير المؤلف مما أدركته من وضعها في مجالات الحياة المختلفة، عبر مقترحات يمكن تلمسها فيما قدمته من طروحات تنطوي عليها النصوص السردية، مما يمكن إدراجه في مسارات يحاول البحث تتبعها، ككتابة الذات، الدحض الأنوثة ومواجهة الحاضر، وإدانة الماضي.⁽⁴⁾

3. جدلية الأنثى/الآخر/الرجل في الرواية النسوية:

إن المتعمق في الرواية النسوية من منظور العلاقة بين الرجل والمرأة تتراءى إليه تلك الصراعات بين الأنثى/الآخر/الذكر، والتي تمخضت عنها قضية المركز/الذكر والهامش/الأنثى، تقول بشرى البستاني: «لا يمكن لأي متناول للرواية النسوية، إذا ما انطلق من وعي بما يتحكم بالعلاقات ما بين الرجل والمرأة عموماً، وبما جاءت به كتابات الجندر خصوصاً، إلى أن يرصد، إن لم نقل يتوقف بالضرورة، عند قضية أو ظاهرة المركز والهامش والمتمثلين في الرجل والمرأة، ليس في وجودها، أو الانتفاض الصريح أو الضمني عليها فقط بل حتى في زوالها كما تقول به بعض الكتابات، وهي القضية التي تستدعي، قبلها أو معها أو بعدها، ظاهرة المواجهة ما بين الأنثى والأنت، أو الأنا والآخر، أو المرأة والرجل أو الذكر/الذكورة والأنثى/ الأنوثة وهي أمور ترتبط جميعاً بالواقع والواقع الاجتماعي وبالمرور والتراكم الاجتماعي الذي كثيراً ما أدعت النسوية أنها رسخت أوضاعاً خاطئة للمرأة، والعلاقة ما بين الرجل والمرأة، وصلت في بعض الحركات النسوية الراديكالية إلى أن تمس حتى الأوضاع (الطبائع) والخصوصيات البيولوجية للمرأة.»⁽⁵⁾

من المطبات التي وقعت فيها المرأة العربية في إبداعاتها قضية الهيمنة الذكورية، ليختلط عليها الأمر بين العناية الأبوية الأصيلة وبين السلطة الأبوية الدخيلة، وبين علاقتها بالأخ الحريص والزوج الغيور عليها، متمثلة في ذهنها تهميشها كأنثى على حساب مركزية الذكر، لتتراءى لها تلك العناية الذكورية والحماية الأبوية أو الأخوية أو الزوجية وكأنها سطوة يمارسها الذكر ليثبط حريتها، ويقيد تحررها، لتجد الروائيات منهن يحاولن تسويق فكرة التضييق على الأنثى وتحقيرها بسبب جنسها، في محاولة منهن تفكيك الأنساق الثقافية القاضية للذكر بالسيطرة على حساب تبعية الأنثى له، يقول عصام واصل: «ويقصد بالرواية النسوية كل سرد روائي يتخذ من قضايا المرأة وعلاقتها مع الآخر موضوعاً له بغض النظر عن كاتبه رجلاً كان أو امرأة. فكل رواية تسعى إلى مقاومة الفعل الذكوري وتفكيك الأنساق الثقافية التي تعتمد على النمذجة وخلق مركز مهيمن مقابل هامش مقصى ومغيب هي رواية نسوية بامتياز.»⁽⁶⁾

يقول إبراهيم أحمد ملحم: «خرجت الأنثى من عنق الزجاجة حيث الكلمة التي احتُبست كتابتها؛ لتتجلى بأقصى ما تستطيع من قوة، وكأنها تريد أن تنتقم لذاتها بالإقبال الشرِّ عليها غير مبالية بمقصَّات الرقباء مهما كانت مواقعهم؛ لأنها على يقين من أن الكتابة الإبداعية شكل من أشكال التحرر، إن لم يكن أفواها على الإطلاق، ولا يمكن أن ترضى عن نفسها فتشعر أنها حرة ما دامت السلطة الذكورية ومقصَّاتها تمثل في ذهنها. وأما حضورها كخلفية تاريخية في ذهن المرأة فهو أحد آليات الدفاع عن النفس؛ لدحضها، وإدانتها، والتخلص من رواستها التي ما زالت عالقة.»⁽⁷⁾

إن جلّ المواضيع التي كتبت عنها المرأة في إبداعاتها الروائية قصد إثبات ذاتها اعتورتها النظرة الانتقامية اتجاه الآخر، وشابتها قصيدة الانتقاص منه، متوهمة أنه سبب قهرها، لتجد نفسها/الأنثى تداوي الداء بالتي كانت هي الداء، بمعنى أنها حاولت تجاوز إقصاء الذكر للأنثى بإقصاء الأنثى للذكر، منطلقة في ذلك من توهم قهري ساقها مرغمة إلى أن القاعدة/الأصل هي الاستثناء، والاستثناء هو القاعدة/الأصل، وإلا كيف نفسر قول من تلحق التعنيف بالرجال كلهم لأن خليلها عنّفها، وهل يعني مثلاً أن كل زواج يفضي إلى طلاق، فلو حدث من ذلك شيء لكان استثناء باعتبار أن التعنيف سلوك غير سوي يصدر عن إنسان مختل في خلقه، وأما الطلاق فطارئ لأن الزواج استمرارية، وقس على ذلك ما شئت شرط التفريق بين القاعدة/الأصل والاستثناء/الشاذ الذي لا يقاس عليه.

فقد «عبّرت المرأة في كتابتها عن نفسها رمزيّتها وجسديّتها ووصاية الآخر عليها، فأنجزت بذلك شخصية نسوية تحاول أن تكون حرة قوية، مقابل شخصية ذكورية مليئة بالسلبيات والتناقضات. لذلك يجد المتأمل لشخصيات الذكور في الرواية النسوية مجموعة من الصور، أبرزها: الأب القاسي، والأخ المتعنتر، والزوج غير المتفهم، والمحرم المسكون بالمراقبة، والآخر ابن البيئة غير المريح، والأجنبي المعجب، والحبیب الحامل لقيم مجتمعه السلبية، والفارس المعلوم (راكب الحصان الأبيض)، والشيخ مركز القوة الذكورية، والمتدين القمعي، والمثقف الانتهازي، والعاشق الصوفي، والقواد، والشاذ، والرقيب السلطوي، والرقيب الذكوري الساكن في نفس المرأة، والمرأة، والمرأة الذكورية (المنتمية إلى الرقابة الذكوري)، والمرأة المسترجلة .. الخ.

فهذه الصور وغيرها تشكل لوحة قائمة للذكورة في واقع المرأة الاجتماعي وفي متخيلها الإبداعي، خاصة لدى المرأة/الأنثى التي تشعر أكثر من غيرها بقيود ذكورية ضخمة تحاصرها، فترى نفسها حصنا مهدم الأسوار يتعاقب على استغلاله الغزاة فيفرضون عليه شروطهم وقيودهم. حيث نجد صورة الرجل "الشيخ المستلب، والقوة الضاغطة القاهرة" أبشع صور الذكورة انتقالها من ملكية الأب المنتج إلى ملكية الزوج المستهلك، وبالتالي تفرض هاتان الملكيتان عليها القيم الذكورية المضطهدة لها، وأيضا القيم الجرمية المعجونة بالتعايش مع الواقع الذكوري السليبي. ومن الضروري، حتى تستقر حياتها، أن تتقبل هذا الوضع فتتعايش معه.⁽⁸⁾

إن من توهم أمرا عميت بصيرته عن التمييز، حتى ولو فكر وقدر لقتل كيف قدر، فيتكدر حينها صفو فكره وتشوب عقله كل الشوائب وتحاط به العقد من كل جانب.

إن خلخلة النظم وزعزعة القيم وتصدع القوانين هي التي هيأت الأرض خصبة للاختلاف عوض الائتلاف بين الجنسين، وأذكت نار الصراع بينهما، رغم أن المختلف بينهما في القاعدة/الأصل لا يلغي المؤتلف، بل يزيدهما توافقا وتكاملا، ومنه فعين الصواب أن يقيم الجنسان قواعد التشارك ويرصيا ثوابت التمايز بما يتناسب وطبيعة كل منهما وفق مقتضيات الشرع، بمنأى عن غريب ثقافات وعجيب معتقدات ومرجعيات فلسفية لا تسمن ولا تغني من جوع، بل إن نفعها أكثر من ضررها، وإن غشي علاقتهما طارئ يفترض أن يفرق جمعهما أو يشنت قلبيهما وجب السعي إلى تجاوزه بطرق أنجع وسبل أنفع، وذلك بتحكيم الآراء السديدة والأفكار الرشيدة المستوحاة من قوانين التآلف ونظم التآزر وسنن التماسك.

إن المرأة حين توسلت الكتابة الإبداعية الروائية ابتغت إثبات ذاتها وفرض وجودها كفاعل مجتمعي، لتجد نفسها مركزة على جدلية الأنا/الأنثى والآخر/الذكر، فصورت ذلك صراعا إذ توهمت دونيتها في مقابل هيمنة الذكر، فسلطت قلمها سيلا بحبر العدوانية لتخط على ورق الانتقام ما قد جاشت به خواطرها التي تفيض بالوسواس القهري، واسمة عملها ذلك بانتصار الذات/الأنثى متناسية أنها نذير هزيمتها،

خاصة وأن بعض الروائيات غلفن ما كتبن بأفكار مندسة لا تمت بأي صلة إلى ما فطر الله تعالى عليه الجنسین معا، فما بني على شرف جرف هار من الشك والريبة والتوهم ينهار بصاحبه، ومن تملكت نفسه السلبيات انبعثت من دواخله أقوالا وأفعالا وأفكارا وتصورات وتوهمات، وكل ذلك يطفو على شكل كلمات تكشف المخبوء والمدسوس الذي تحاول الذات من خلاله تعويض نقصها، ليظهر المضمر من الخفايا جليا، حينها تكون الذات الكاتبة منفصمة بين الأصل والاستثناء في معالجتها للقضايا، يقول الغدامي: «إن الذات وهي تكتب إنما تفعل ذلك لكي تدل على كل ما هو مفقود منها، وبذا فهي لا تدل إلا على ما هو سواها وما هو غيرها، وكأنما الذات -هنا- تنفي نفسها من خلال الكتابة مثلما أنها تنفي الآخر بتجاوزها له، وفي كلتا الحالتين فإن الكتابة تقدم الاختلاف وتعرض الضد: الذات المختلفة في النص المختلف. ومن هنا ينشأ العمل المضاد بما هو اختلاف عن الأصل وعن الشبيه، فالمؤلف ليس هو الشخص ذاته، والنص كتابة جديدة لا تشبه ما عداها، ولذا فهي الضد.

من هنا يمكن الدخول إلى النص هو مسعى لقلب السحر على الساحر لأنه كشف للمخبوء وتعتيم للمكشوف»⁽⁹⁾

يقول جميل حمداوي: «من المعروف أن الكتابة النسائية هي التي تشخص أدبية الأنثى في علاقتها بالرجل، وتجسد همومها الشعورية واللاشعورية، وصراعها الذاتي الداخلي والخارجي، عبر المناجاة، والبوح، والاعتراف، والتمرد، واستخدام أساليب التدوير والتبئير الشخصي. لكن أهم ما يميز الكتابة النسائية هو إثبات الهوية أو الخصوصية الأنثوية، والدفاع عن استقلالية المرأة في اتخاذ قراراتها المصيرية، دون الاستسلام لضغوطات الرجل وأوامره ونواهيه.

كما تصور هذه الكتابة النسائية ذلك الصراع الجدلي بين الذكورة والأنوثة من جهة، وتمزق الأنثى ذاتيا وموضوعيا من جهة ثانية. وغالبا، ما يكون بين المرأة والرجل صراع جدلي، أو تعايش وائتلاف حميم. لذلك، تحضر عقدة الرجل كثيرا في الكتابة النسائية إلى جانب مقومات الجسد، وما يتصل به من زواج، وطلاق، وحب، وأسرة، وجنس، وجمال، وأنوثة، وسن، وبكارة، وعنوسة، وإنجاب، وحرية، وعمل، ومسؤولية ...

علاوة على ذلك، تتسلح الكتابة النسائية بسلاح التأنيث أو المؤنث في مواجهة الذكورة التي تحيل، في متخيل المرأة، إما على الرجولة، والفحولة، والقوامة، والقوة، والمسؤولية، والقيادة...؛ وإما على الغطرسة، والتحرش، والعنف، والاستعباد، والاعتصاب، والترهيب، والظلم...»⁽¹⁰⁾

إن التوجه الانتقامي للروائيات العربيات إنما يتبدى من عناوين أعمالهن ومضامينها، فالرجل بالنسبة إليهن هو مضطهد المرأة والعامل الأساس في تخلفها وسالب حقوقها، يقول أبو نضال: «لاحظنا، عبر متابعتنا للرواية النسوية العربية، أن القاسم المشترك الأعظم في هذه الرواية إنما ينطلق من صراع الضد بين المرأة والرجل، وترى البطلات في غالبية الساحة يصدرن في مواقفهن من أن الرجل/الذكر هو المسؤول الأول والمباشر عن اضطهاد المرأة وتخلّفها وحرمانها من حقوقها، وبالتالي فإن هذه الرواية تكاد تتحول في كثير من الأحيان إلى مرافعة دفاع عن الضحية/المرأة، لإدانة المجرم/الرجل ويكفي القارئ استعراض بعض عناوين الرواية النسوية العربية، ليلحظ هذا المعنى: "لم نعد جوارى لكم" لسحر خليفة، "امرأة خارج الحصار" لرجاء أبو غزالة، "الرهينة" لأميلى نصر الله، "الدمى الحية" لهند سلامة، "لست دمية" لثرثيا شيخ العرب، "الزوجة الهاربة"، "زوج في المزداد" و"مسافرة على الجراح" لجيلان حمزة، "جريمة رجل" لحريية محمد، "4 صفر" لرجاء عالم، "ليلة القبض على فاطمة" لسكينة فؤاد، لعنة الجسد" لصوفي عبد الله، "امرأة في دائرة الخوف" لضياء قصبجي، "ليلي والذئب" لعالية ممدوح، "ولا عزاء للسيدات" لكاثيا سرور، "المرأة والقطعة" و"وسمية تخرج من البحر" ليلي العثمان، "الضحية" لمليكة الفاسي، "4 نساء" لناجية حمدي، "رقيق القرن العشرين" لنجوى القلعي، "محاكمة يمامة عربية" لنهاد توفيق عباسي...»⁽¹¹⁾

إن «الرواية النسوية العربية تنطلق من واقع أن اضطهاد المرأة وحرمانها من حقوقها هو نتاج تخلف تاريخي واجتماعي وثقافي طويل. ولابد من أجل تجاوزه من أن تضع المرأة يدها بيد الرجل لكي يخوضا معا معركتهما المشتركة ضد التخلف والعبودية، ذلك أن الرجل لا يمكن أن يكون حرا في مجتمع نصفه من الرقيق والمضطهدين ونجد

نموذجاً مثل هذه البطلات في روايات رضوى عاشور وليلى عسيان وزهرة عمر وقمر كيلاني.

في رواية الضد النسوية التي تخوضها البطلة/المرأة في مواجهة البطل/الذكر نجد الكاتبة في مرافعتها الروائية تبالغ في تصوير سلبيات الرجل وممارسته القمعية، بينما نجدها في المقابل تقدم صورة كفاحية للمرأة، كما نجد ذلك بوضوح في روايات د. نوال السعداوي وغادة السمان وليلى بعلبكي...»⁽¹²⁾

إن رواية الضد أو رواية إثبات الذات بالنسبة للمرأة إنما مردها إلى إحساسها بالقهر والدونية، أين تجدها ناقمة على كل ذكر وساخطة على الواقع المعيش، يقول محمد معتصم: «والكتابة الموجهة للرجل كثيرة جداً. تقوم بنياتها على نمط خاص من الصراع. فالرجل يمثل السلطة القاهرة والعائق الحقيقي أمام المرأة. ولكي تنطلق المرأة بكل حرية عليها أن تتجاوز عقبة الرجل. لذلك نجد شخصية الرجل مشوهة ومبتورة ومهزوزة.»⁽¹³⁾

حاولت المرأة من خلال كتاباتها تجاوز العقبات، وتعرية المخفيات، كل ذلك وفق مطلب تحررها، ومبتغى إثبات ذاتها.

إن المتأمل في كتابات المرأة الروائية خاصة يظهر له جلياً مدى الصراع المشحون والغل المكثف والمدفون بين ثنایا الحروف وخفايا المعاني اتجاه الرجل، «في العديد من الروايات النسوية نرى كيف تمارس الكاتبة/البطلة دوراً انتقامياً في تقديم رجال معطوبين ومهزومين فيما نرى المرأة في المقابل تتماسك وتتقدم لإنقاذ الرجل/الزوج/والد الأبناء.»⁽¹⁴⁾

أما حسين المناصرة فيقول: «وبشكل عام، فإن احتفالية القاص الذكر أو الأديب بالمرأة، تجيء -في غالب الأحيان- تشيئية إيجابية. لكن -على عكس ذلك- نجد كتابة المرأة مشحونة دائماً بنقد الآخر (الرجل)، ومحاولة سلبه ميزات الإيجابية. ومن ثم تتشكل الكتابة في دائرة ثنائية متصارعة لا متوافقة. وهذا -طبعاً- مردّه إلى كون المرأة تنظر إلى الآخر على أساس أنه سلطة مضادة قمعية، الأمر الذي يستدعي تفعيل

الخطاب الأدبي النسوي ضد هذا الرجل، لإدانتته، أو محاولة تغييره، أو تفريغ الذات الأنثوية من الكبت الناتج عن علاقتها بالرجل.»⁽¹⁵⁾

أما «على المستوى الإيديولوجي فإن هاجس الرواية النسوية هو تحرر المرأة الاجتماعي والسياسي والجسدي، والذكر بالطبع هو بالنسبة لها رأس القوى المعوقة التي تحول بين المرأة وبين حريتها.. ولذلك فإن السمة الغالبة للرواية النسوية العربية تأخذ شكل حرب ضد الرجل/الذكر.

في حالات أقل تتماهى المرأة في نظرتها إلى ذاتها مع نظرة الذكر، بل وتستكين لهذا الواقع المستلب. وفي حالات أرقى ترى الكاتبة/المرأة أن معركتها باتجاه التحرر لا يمكن أن تتحقق الانتصار إلا بخوض الصراع إلى جانب الرجل ضد أشكال التخلف التاريخي والاجتماعي والثقافي.»⁽¹⁶⁾

تعددت الأعمال الروائية النسائية العربية والهدف واحد وهو التحرر من كل ما يحول بين الأنثى وتحقيق آمالها، في محاولة منها لكسر الأغلال وفك القيود، ولكن الإشكال في تصورها لذلك التحرر، إذ كان لزاما على كل منهن أن يبحثن عن ذواتهن اللاتي تاهت بين اغتراب داخلي وآخر خارجي، وغابت بين منفى نفسي وآخر مجتمعي، كل ذلك بفعل انجرافهن وراء تيارات دخيلة وانهارهن بأفكار هدامة وذوبانهن في ثقافات غريبة، «وعلى الرغم من ذلك فإن بعض هذا الإبداع، يتساوى مع إبداع الرجل، إذ تذوب أحياناً فوارق النوع وتتلاشى، غير أنه على المرأة ألا تنشغل بمحورها هي، محور الذات الأنثى، إن قضية الذات الأنثى المشغولة بكيئونتها، والمتمثلة في قضايا الجسد والأنوثة، وقهر الذكورة المهيمنة والشبقية الجامحة، هي قضايا جانبية خاصة، إنه على المرأة الآن أن تتناول مشكلات عصرها ومرحلتها، فتقف بنا على سلبيات يزخر بها واقعها، هي سلبيات قد يكون محور الذات الأنثى من بينها.»⁽¹⁷⁾

تكتب المرأة عن قضيتها، وتحاول الانتصار لذاتها على حساب عادات جائرة، وتقاليذ ظالمة، يقول محمد معتمد: «تعد قضية المرأة محورية في كتابات المرأة لاعتبارات منها، كون المرأة تكتب عن موضوع لصيق بها، ويشكل محور كيئونتها. كيف

تفكر وكيف تحس، ما ينتابها من شعور باليأس والإحباط أو الرضا والحبور عندما تصطدم بسلوك معين ...

ما تطمح إليه من آمال وما ترغب في تحقيقه لذاتها ولبني جلدتها. وكون المرأة تكتب عن قضية تهك وتثقل كاهل المجتمع وتضعفه وتبدد مجهوداته. كما أنها قضية مفتعلة وجانبية تمتص الكثير من جهد الإنسان في المجتمع وت خلف صراعات هامشية بين الجنسين: المرأة والرجل.⁽¹⁸⁾

من النساء من اتخذن التمرد سبيلا، وجعلن الانفلات دليلا، «فهل يعني تمرد الأنثى هو فشل مسبق لمحاولة بائسة يائسة، أم أن الإبداع في حد ذاته هو انتصار على القهر، وكشف للمخبوء بفعل عملية بوح تتنفس من خلاله المرأة حريتها المنشودة وأملها الذي لطالما سعت إلى تحقيقه، وإن كانت القاعدة هي التكامل بين الرجل والمرأة والاستثناء هو قهر المرأة وسلبها هويتها، «في علم الاجتماع التمرد هو محاولة فردية لتغيير الواقع الاجتماعي، غير أن هذه المحاولة، وبسبب فرديتها، محكوم عليها بالفشل، ذلك أن تغيير الواقع يحتاج إلى ثورة اجتماعية أو إلى مدى تاريخي، أما التمرد بالمعنى الفلسفي فهو فعل التحدي الذي يمارسه الفرد ضد قوى عاتية لا يستطيع إلحاق الهزيمة بها، ولكنه يواصل الصراع، رغم تكرار الفشل، لأن لا خيار أمام الإنسان سوى التمرد في مواجهة اللعنة أو في مجابهة غضبة الآلهة، إنه قدر الإنسان ومصيره ... وتذهب الفلسفة الوجودية إلى أن مصير الإنسان إنما يتحدد من خلال التزامه بالمسؤولية فهنا بالضبط تتحقق حرية الإنسان، وهنا يكمن الفارق النوعي بين فلسفة العبث التي تؤدي إلى اللامجدوى وبين التمرد المشروع والقابل للتحقق في زمن يأتي، رغم تكرار الفشل الآن.»⁽¹⁹⁾

إن القضايا التي طرحتها الروائيات العربيات منها ما هو جاد أصله ثابت وفرعه في السماء يسمو، وآخر ما له من قرار، باعتبار ما يحمله من دعوات سافرة وأفكار لا تمت إلى أصلتنا، ومثال ذلك من رأت الزواج اغتصابا والخيانة الزوجية مشروعا والحجاب حدا من الحريات والدين قيد ... وغير ذلك مما يمكن قراءته في مضامين بعض تلك الروايات، «وبهذا نهجت بعض الكتابات النسائية نهجا خاصا في إبراز تجربتها ورسمها،

عبر دروبها، إذ خلا بعضها من الجدة والابتكار، إلا من تلك النزعة، التي جعلتها عند البعض بابا ومحورا لفكرها الشائن، وخيالها المريض، وشبقها المتدفق والشاذ.

إن بعض السرد النسائي، أو اللغو النسائي - إن شئنا الدقة - هو كلام مغلوط، إنه سقوط في سقوط، يعبر عن نفس مجهدة، وعقول ذات خواء ضحل، تعيش عالم الانغلاق على الذات، في برج لا ترى منه النور، أغلقتها على نفسها بإحكام، فلم تر غيره، حتى تفتق عن نوع من النرجسية والشذوذ، فأخرجته غثاء للناس، متوهمة غير ذلك.

إنها كتابة تنم عن جذب الموهبة، فجاءت ممجوجة ضحلة، تعبر عن تخيلات مشوهة مجنونة، وإن أخذها البعض بابا إلى الشهرة، فعبروا بالتافه على حساب القيم والأصيل؟⁽²⁰⁾

4. خاتمة:

إن الرواية النسوية العربية تصوير لتجارب نسائية لها محل من الوجود في المجتمع إيجابية كانت أم سلبية، وفقا لتباين المآرب والمشارب لكل روائية، وليس بالضرورة تعميم تلك التجارب إلا ما تشابه منها، فما وافق الطبع والطبيعة كان قاعدة/أصلا يقاس عليه، وما مجّته الطباع واشمأزت منه النفوس كان استثناء وجب تقويمه أو نبذه بالكلية.

إن جدلية الأنثى/الأنثى والآخر/الذكر تحمل الكثير من الجدل باعتبار تعددية الرؤى وتشعب المشارب في معالجتها، وذلك ما يظهر جليا في الكتابات النسوية عامة والروايات منها خاصة، وما تحويه من تشظي للذات وسلخ في الأنثى التي ترغب الأنثى في إثباتها.

إن أهم قضية نسوية وجب الدفاع عنها هي أن تكون المرأة عزيزة بأنوثتها مكرمة بإنسانيتها لتحظى بالمكانة الأليق بها، إذ لا فرق بين الجنسين إلا بالمكرمات والفضائل ومحاسن الأقوال والأفعال، أو ما اختص به جنس عن الآخر بما يتوافق وخلقه ويتماشى وفطرته.

إن العلاقة بين المرأة والرجل قائمة على مبدأ العدل والتفاهم والتكامل والاحترام، يقينا بأن كلا من الجنسين لا تقوم له قائمة إلا بوجود شقه الثاني، فلا تفاضل بينهما إلا ما تميز به أحدهما عن الآخر وفق مترتبات تكليفية واجبة وأخرى امتيازية حقوقية، تلك هي القاعدة الأصل في الفصل بين الجنسين ودور كل منهما في استمرارية الحياة تحت مظلة التوافق والاحترام المتبادل من غير تهميش ولا إقصاء ولا احتكار، أما الاستثناء فهو عارض عرفي أو طارئ شاذ لا يقاس عليه، هذا ولو ساد في مجتمع من المجتمعات لكان مردودا على أصحابه باعتباره مخالفا للقاعدة الأصل، مثال ذلك: تعنيف المرأة بشتى أنواعه هو استثناء لا يقاس عليه إذ القاعدة هي تحريم فعل التعنيف وتجريم فاعله، ومبدأ التراحم والتألف والتغاضض هو القاعدة الأصل.

5. الهوامش:

- (1) عصام واصل، الرواية النسوية العربية-مسألة الأنساق وتقويض المركزية، ص32.
- (2) حسين مناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية-بحث في نماذج مختارة، ص12.
- (3) عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف-دراسة في السرد النسائي، ص48.
- (4) بشرى البستاني وآخرون، الرواية النسوية العربية-المرأة في عالم متغير، ص58 وما بعدها.
- (5) المرجع نفسه، ص35.
- (6) عصام واصل، الرواية النسوية العربية مسألة الأنساق وتقويض المركزية، ص32.
- (7) إبراهيم أحمد ملحم، الأنثوية في الأدب-النظرية والتطبيق، ص51.
- (8) حسين مناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية - بحث في نماذج مختارة، ص46 وما بعدها.
- (9) عبد الله محمد الغدامي، الكتابة ضد الكتابة، ص8.
- (10) جميل حمداوي، خصائص الكتابة النسائية في القصة القصيرة جدا (مقاربة ميكروسردية)، ص4.
- (11) نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى-في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، ص35.
- (12) المرجع نفسه، ص36.
- (13) محمد معصم، المرأة والسرد، ص24.
- (14) نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى-في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، ص30.
- (15) حسين مناصرة، قراءات في المنظور السردى النسوي، ص211.

(16) نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى- في رواية المرأة العربية وبلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، ص10.

(17) عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف-دراسة في السرد النسائي، ص52.

(18) محمد معتصم، المرأة والسرد، ص235.

(19) نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى - في رواية المرأة العربية وبلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، ص25.

(20) عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف - دراسة في السرد النسائي، ص58.

6. قائمة المصادر والمراجع:

* إبراهيم أحمد ملحم، الأنثوية في الأدب-النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط1، 2016م.

* بشرى البستاني وآخرون، الرواية النسوية العربية-المرأة في عالم متغير، تحرير وتقديم: نجم عبد الله كاظم، داركتارا للنشر، الدوحة-قطر، ط1، 2018م.

* جميل حمداوي، خصائص الكتابة النسائية في القصة القصيرة جدا (مقاربة ميكروسردية)، مكتبة سلى الثقافية، ط1، 2017م.

* حسين مناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية-بحث في نماذج مختارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2002م.

* حسين مناصرة، قراءات في المنظور السردى النسوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط1، 2013م.

* سمير خليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب، دار ضفاف للنشر، الشارقة-بغداد، ط3، 2018م.

* عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف-دراسة في السرد النسائي-مدخل نظري، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2003م.

* عبد الله محمد الغدامي، الكتابة ضد الكتابة، دارالآداب، بيروت، ط1، 1991م.

* عصام واصل، الرواية النسوية العربية-مسألة الأنساق وتقويض المركزية، داركنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1439هـ/2018م.

* محمد معتصم، المرأة والسرد، دار الثقافة-مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2004م.

* نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى- في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2004م.